الشُّعراء المُوَسْوِسُونَ في التراث العربي

أ.د. أحمد علي محمد(*)

المقدمة:

الشُّعراء الموسوسِون في تراث العرب فئةٌ غير قليلة، أسهمت إسهامًا واسعًا في إثراء ذلك التراث، ومن هنا آثرنا الوقوف عند بعض شعرائها، وفي ظننا أنّ ذلك الصنيع ينفع التصنيف النّقدي الذي يهتمُّ بالخصائص العامة للآداب، ولاسيما أنّ هؤلاء الشُّعراء جمعت بينهم آفةُ الوسوسة، وهو أمر لابُدَّ أنه تارك في نِتاجهم سماتٍ خاصة توحّد بينهم على اختلاف مشاربهم وتوالي عصورهم الأدبية. ولا تُعَدُّ الوسوسةُ سمةً بحدِّ ذاتها إلا بمقدار صلتها بالفنّ نفسه، ذلك لأنّ الفنّ من وجهة نظر نفر من الباحثين منوطٌ بالإلهام، وليس ذلك فحسب بل إنّ المخيلة العربية وجدت منذ القدم أنّ من يبعث الشّعر في الأنفس شيطان ينفث على الألسنة كلامًا ساحرًا، من أجل ذلك جعلت لكلّ شاعرٍ شيطانًا أو تابعًا أو رئيًا يُلهمه الكلام الجميل، قال الجاحظ: «يزعمون أنّ مع كلّ فحل من الشُّعراء شيطانًا يقول على لسانه الشّعر، وزعم البهراني أنّ الجنيَّةَ بنتَ عمروٍ صاحبةُ المخبل، وأنّ خالَها مِسْحَل شيطان الأعشى»(١)، ومن هنا كانت الوسوسة منوطة بالشِّعر، لأنّ الوسواس في اللُّغة هو الشيطان نفسه، والشَّاعر الموسوِسُ هو من وسوس له الشيطان بالشِّعر، وقال ابن الأعرابي: يقال: رجلٌ موسوِس(بكسر

(*) عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب بجامعة دمشق.

(١) الجاحظ (الحيوان): ٣/ ١٦٦.

الواو)، ولا يقال رجل موسوَس (بفتحها)، وفي اللّغة أيضًا الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي من ريح، والوسواس صوت الحلي، والوسوسة حديث النّفس، والوسواس صوت الصائد ...[٢].

الوسوسة ضرب من الجنون، قال الجاحظ: «ومن المجانين الموسوسين ابنُ قَنَان وصبَّاح الموسوس وديسيموس اليوناني، وأبو حيّة النميري وأبو يس الحاسب وجعيفران الشاعر وجَرَنْفَشٌ وسارية الليل وريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي التي نقضت غزلها أنكاثًا، فضرب الله تبارك وتعالى بها المثل، وهي التي قيل لها خرقاء، ومنهم دُغةُ وجُهيزة وشَوْلة وذُرّاعة القديد المعدّيّة»[٣]. وهؤلاء ليسوا جميعًا من الشّعراء، وأمّا شعراء الوسوسة في التراث العربي فمنهم سيبويه الموسوس، وجعيفران الموسوس، وماني الموسوس، وخالد الموسوس، وأبو حية النميري، وأبو الغصن الموسوس، وبرذعة الموسوس، وطرة الموسوس، وشحطون الموسوس، والفيرزان الموسوس، وابن دانق الموسوس، ومصعب الموسوس، وجساس الموسوس، وأبو الفضل الموسوس، وأبو حيان الموسوس، فسِيَر هؤلاء وما روي لهم في المصادر من أشعار تُمثِّل مادة هذا البحث.

١ـ أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه:

ليست هنالك معلومات توضح جوانب حياة أبي بكر هذا، وكانت كتبٌ قليلة قد رددت ذكره وشذرات من أخباره، من أهمها كتاب «يتيمة الدّهر للثعالبي»، وقد جاء فيه أنّه شاعرٌ من البصرة، كان قد هاجر إلى مصر، وعاش في زمن كافور الإخشيدي والوزير ابن حِنزابة، و كان كثير الانتقاد لابن حنزابة

(٢) ابن منظور (لسان العرب) م: وسس.

(٣) الجاحظ (البيان والتبيين): ٢/ ٤٠١

ولأهل مصر عامة كما سنرى، وإذا كان ابن حنزابة قد عاش ما بين عامي ٣٠٨هـ و٣٩١هـ، فهذا يعني أن سيبويه الموسوس من رجال القرن الرابع الهجري، وقد أشار الثعالبي إلى أنّه تناول البلاذر [٤] فعرضت له لوثةٌ في عقله [٥]، فكانت تلك الحادثة فيما يبدو وراء انطلاق لسانه لذم الكبراء وانتقاد سلوكهم من دون حساب، ويذكر الثعالبي أنّ سيبويه الموسوس» في حضور جوابه وبيان خطابه وحسن عبارته وكثرة درايته يشبّهُ بأبي العيناء [٦].

كان سيبويه كثير الانتقاد لأهل مصر كما سبقت الإشارة، فقد قال لهم: «أصحابنا البغداديون أحزم منكم، لا يقولون باتخاذ الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد، فهم أبدًا يعزبون ولا يقولون باتخاذ العقار خوفًا من أن يملكهم شرّ الجار، فهم أبدًا يكنزون ولا يقومون بإظهار الغنى في موضع عُرفوا فيه بالفقر...» [٧]، ويبدو أنّه لم ينل حظوة عند أهل مصر سواء أكانوا من الكبراء أم من الدهماء، لكثرة انتقاده لهم، وتسخطه أحوالهم، ومع ذلك لم تُروَ له أخبار في غيرها

(٤) زعموا أن البلاذر وهو نبات يصلح العقل ويورث الحفظ (الحيوان للجاحظ ٣/ ٢١١)، وذكر اليافعي في كتابه مرآة الجنان: أن جماعة من الفقهاء في المدرسة النظامية ببغداد اتفقوا على استعمال حب البلاذر لأجل سرعة الحفظ والفهم، فاجتمعوا ببعض الأطباء وسألوه عن مقدار ما يستعمل منه وكيف يُستعمل، ثم اشتروا المقدار الذي قال لهم الطبيب الجاهل فشربوه في موضع خارج المدينة فحصل لهم الجنون.

(٥) الثعالبي (يتيمة الدهر): ٢/ ٣٨٨.

(٦) المصدر السابق . أبو العيناء هو محمد بن القاسم مولى بني هاشم توفي سنة ٢٨٣ هـ، يعد من أظرف الشعراء وأكثرهم ذكاء، عمي بعد بلوغه الأربعين، وكان معاصرًا للخليفة المتوكل.

(٧) المصدر السابق.

من الأمصار، مما يشير إلى أن حياته انقضت فيها، مع كثرة تبرمه بأهلها، فروي أنّه قال: «يا أهل مصر حيطان المقابر أنفع منكم، يُستند إليها، ويُستدرى بها من الريح، ويُستظل بها من الشّمس...»[٨].

وكذلك كان كثير التهكم بالوزير ابن حنزابة[٩]، فقيل إنّه لمّا رآه بعد موت كافور، وقد ركب في موكب عظيم، قال: ما بالُ أبي الفضل قد جمع كُتّابه ولفق أصحابه وحشد من بين يديه حُجّابه، وشمّر أنفه وساق العساكر خلفه، أَبلَغَهُ أنّ الإسلام طُرِقَ، أو أنّ ركن الكعبة سُرِقَ...»[١٠].

وأما أشعاره فنادرة، إذ لم نقع في المصادر التي توفرت لدينا، إلا على قطعة صغيرة من شعره، مؤلفة من ثلاثة أبيات يعتذر فيها عن رداءة خطه، وهي من المقطعات الطريفة، يقول فيها:

اعذرْ أخاكَ على رداءة خطه ... واغفرْ رداءته لجودة ضبطه

فالخطُّ ليس يُرادُ من تحسينه ... وبيانه إلا إبانة سمطه

فإذا أبان عن المعاني سمطُه ... كانت ملاحته زيادةَ شرطه

وخلاصة القول في شخصية سيبويه الموسوس: أنّ العاهة التي ألمت به على حدّ زعم الثعالبي، كانت وراء تخطيه الحدود، لا بل جعلته يتنبه على لون من الكلام النقدي الذي يصور من خلاله عيوب المجتمع الذي عاش فيه، غير

(٨) المصدر السابق.

(٩) ابن حنزابة هو جعفر بن الفضل الوزير المحدث، ولي الوزارة في عهد أحمد بن علي الإخشيدي بعد وفاة كافور.

(١٠) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٥/ ٣٥٥.

مكترث بمن صدر عنه العيب سواء أكان من العامة أم من الخاصة .

٢ـ جعيفران الموسوس:

اسمه جعفر بن علي السري المعروف بجعيفران الشاعر، ولد ببغداد ونشأ فيها [(١١)]، وقيل بالكوفة [(١٢)]، وأبوه من أبناء خراسان، وذكر ابن الجوزي أنّه من أهل الفضل والأدب، كان قد وسوس في أثناء عمره [(١٣)]، ويبدو أنّه عاش في القرن الثالث الهجري لخبر ذكره ابن منظور، فحواه أنّ جعيفران أتى أبا دُلَف العجلي قائد جيوش المأمون والمعتصم من بعده، المتوفى سنة ٢٢٥هـ، «واستأذن عليه وعنده أحمد بن يوسف، فقال الحاجب: جعيفران بالباب، فقال له أبو دلف مالنا وللمجانين ؟ فقال له أحمد بن يوسف: أدخله، فلما دخل قال [(١٤)]:

يـــابن أعـــزّ النّـــاس مفقـــودا   وأكـــــرم الأمـــــة موجـــــودا
لمـا سـألتَ النـاسَ عـن واحـدٍ   أصـــــبح في الأمـــــة محمـــــودا

ساقت كثير من مصادر الأدب نوادر جعيفران وأشعاره، فمن نوادره أنّ رجلاً أعطاه درهمًا فقال [(١٥)]:

عـــــادني الهـــــمُّ فـــــاعتلج   كـــــلُّ هـــــمٍّ إلى فـــــرجْ
سَـــــلِّ عنـــــك الهمـــــوم بالـــــ   ـــــكأس والـــــراح تنفـــــرجْ

(١١) ابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم): ٥٢٢ .
(١٢) ابن عبد ربه (العقد الفريد): ٣/ ٣٩٩.
(١٣) ابن الجوزي (المنتظم ...): ٥٢٣.
(١٤) ابن منظور(مختصر تاريخ دمشق): ٦٢٢
(١٥) ابن عبد ربه (العقد الفريد): ٤/ ٤٦٩ .

ومن طرائف أشعاره قوله [١٦]:

ما جعفرٌ لأبيهِ … ولا له بشبيهِ
أضحى لقومٍ كثيرٍ … فكلُّهم يدعيهِ
هذا يقولُ بُنَيَّي … وذا يخاصم فيه
والأُم تضحكُ منهم … لعلمها بأبيهِ

كان جعيفران فطنًا حاضر الجواب، خفيف الروح، فقيل إنّه « استأذن على بعض الملوك، فأذن له، وحضر الغداء فتغدى معه، فلما كان من الغد استأذن فحجبه، ثم أتاه في الثالثة فحجبه، فقال [١٧]:

عليكَ إذنٌ فإنّا قد تغدَّينا … لسنا نعود وإن عدنا تَعَدَّينا
يا أكلةً ذهبتْ أبقتْ حرارتُها … داءً بقلبك ما صُمنا وصَلَّينا

لا تختلف شخصية جعيفران عن شخصية سيبويه الموسوس من حيث الطرافة والعفوية، والظاهر أنّهما أجريا شعرهما في تصوير حالهما من دون الالتفات إلى الموضوعات التي كانت تشغل الشّعراء، ولهذه مؤشر مهم، وهو أنّ الشّعر لدى الموسوسين لا ينمُّ إلا على تصوير الذات في أثناء تفاعلها الاجتماعي، ومن هنا تنشأ المفارقات الأدبية التي تدعو إلى الإضحاك الناجم عن وصف سلوك غير مألوف.

٣ـ مانِيٌّ الموسوِس:

هو محمد بن القاسم من أهل مصر كما ذكر غير واحد من الأدباء الذين

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

ترجموا لسيرته، وكانت المصادر قد احتفلت بأخباره وأشعاره على نحو لم يكد يتحقق لسائر الشّعراء الموسوِسين، فذكر صاحب الأغاني أنّه لين الشّعر لم يقل شيئًا في غير الغزل[١٨]، وقال الصفدي: «كان من أظرف الناس وألطفهم»[١٩]، وقد قدم بغداد في أيام المتوكل، وله أخبار طريفة مع الأمراء والكبراء، توفي سنة ٢٤٥هـ.

ومن غزله الرقيق قوله:

من الظباءِ ظباءٌ هَمُّها السّحبُ ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عشبُ
أفدي الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها وحَلْيُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
يا حُسْنَ ما سرقتْ عيني وما انتَهَبت والعينُ تسرقُ أحيانًا وتنتهبُ
فتلك من حُسْنِ عَيْنيها وهبتُ لها قلبي فلو قَبِلَتْ مِنّي الذي أَهَبُ
وما أريدُهما إلا لرؤيتها فإنْ تأبّتْ فَمالي فيهما أربُ
إذا يدٌ سرقتْ فالحدُّ يقطعُها والحدّ من سَرَقِ العينين لا يَجِبُ

عدَّ النيسابوري مانيَّ من عقلاء المجانين، فنقل ما رواه الأصفهاني لما دعاه محمد بن عبد الله بن طاهر لمنادمته، فقال له: «قد آن لك أن تزورنا على شوقنا إليك، فقال: أصلح الله الأمير، الشوق شديد، والمزار بعيد، والود عنيد، والحجاب صعب، والبواب فظّ، لو سهل لنا الإذن، لسهلت علينا الزيارة. فأمر بالجلوس، ثم غنت بنوسة بيتين لأبي نواس:

يا خليليَّ ساعةً لا تريما وعلى ذي صبابةٍ فأقيما

(١٨) الأصفهاني (الأغاني) ٨/ ٤٦٦.
(١٩) الصفدي (الوافي بالوفيات) ٤/ ٣٨٠.

مـــا مررنـــا بـــدارِ زينـــبَ إلا فضـــحَ الـــدَّمعُ سِرّنـــا المَكْتُومـــا

فقال مانيّ: والله لولا رهبة الأمير لأضفت إلى هذين البيتين بيتين لا يردان على سمع ذي لُبّ، فقال[٢٠]:

ظبيـةٌ كـالهلالِ لـو تلحـظُ الصخْـ ـــرَ بطـــرفٍ لفارقتـــه هشـــيما

وإذا مـا تبسـمتْ خلـتَ مـا تُبْـ ـــدي مـــن الثَّغـــرِ لؤلـــؤًا مَنظومـــا

ومن ذلك أيضًا إجازته بيتين لأبي العتاهية غنتهما مأنوسة في مجلس محمد بن عبد الله بن طاهر، وهما:

حجبوهـــا عـــن الرّيـــاحِ لأنّي قلـــتُ يـــا رِيـــحُ بلغيهـــا السّـــلاما

لـو رضـوا بالحِجَـابِ هـانَ ولكـنْ منعوهـــا يـــومَ الريـــاحِ الكلامـــا

فقال مانيّ:

فتنفســـتُ ثـــم قلـــتُ لطيفـــي ويـــكَ إنْ زُرْتَ طيفَهـــا إلمامـــا

خُصّـــهُ بالسّـــلامِ منّـــى وأخشـــى يمنعوهـــا لشـــقوتي أنْ تنامـــا

وقيل له أيضًا أجز هذين البيتين في المغنية مأنوسة:

لم تَطِـــبِ اللـــذاتُ إلا بِمَـــنْ طابـــتْ بهـــا اللـــذاتُ مأنوســـهْ

غنـــتْ بصـــوتٍ أطلقـــتْ عَـــبْرَةً كانـــت بســـجن الصّـــدر محبوســـهْ

فأجازها مانيّ بقوله:

وكيـف صـبرُ النّفـوسِ مـن غـادةٍ أظلمُهـــا إنْ قلـــتُ طاووســـه

وَجُـــرْتُ إنْ ســـميّتُها بانـــةً في جنّـــةِ الفِـــرْدَوسِ مَغْرُوســـهْ

(٢٠) النيسابوري (عقلاء المجانين):٦٣.

جلّتْ عن الوصف فما فكرةٌ تلحقُها في الوصف محسوسهْ

وواضح أنّ ماني قد مهر في الإجازة وهي بناء بيت أو أكثر على بناء سابق، بغية زيادة المعنى وإشباعه للإطراف، وهو فنّ مألوف عند الشعراء، ارتبط بأدب السمر والمجالس واللهو .

٤ـ خالد بن يزيد الموسوس:

هو أبو الهيثم خالد بن يزيد الكاتب التميمي الخراساني، كان أحد كتاب الجيش في بغداد في عهد الخليفة المعتصم بالله، وكان معاصرًا لأبي تمام الطائي، وهو من الشّعراء المجيدين المكثرين، له ديوان شعر مطبوع، ويكاد شعره أن يقتصر على الغزل، توفي نحو سنة ٢٦٢هجرية.

ذكر غير واحد من الأدباء والمؤرخين أنّ خالد بن يزيد الكاتب بعدما أسن دق عظمه ورق جلده فوسوس [٢١]، فحكى أبو الحسن علي بن محمد بن مقلة، على نحو ما يورد ابن خلكان، قال: حدثني ابن عمي قال: اجتاز خالد الكاتب وأنا على باب داري بِسُرَّ مَن رأى والصبيان حوله يولعون به، فجاء إليَّ وسألني صرفهم عنه ففعلت، وأدخلته داري فقلت له: ما تشتهي تأكل؟ قال: هريسة، فتقدمت بإصلاحها له، فلما أكل قلت له: أيّ شيء تحبّ بعد هذا؟ قال: رُطَب، فأمرت بإحضاره فأكل، فلما فرغ قلت: أنشدني شيئًا من شعرك فأنشدني قوله [٢٢]:

تناسيتُ ما أوعيتُ سمعَكَ يا كأنّكَ بعدَ الضُّرِ خالٍ من النفعِ

أما عندَ عينيكَ اللّتينِ هُمَا هُما لمكتئبٍ يرجوكَ شيئًا سوى المنعِ

(٢١) ابن خلكان (وفيات الأعيان): ٧/ ٣١١.

(٢٢) المصدر السابق.

فإنْ كنتَ مطبوعًا على الصدِّ والجفا فمن أينَ لي صبرٌ فأجعله طبعي
فإن يكُ أضحى فوقَ خديكَ روضةٌ فإنَّ على خَدي غديرًا من الدّمع

ومن روائع شعره قوله:

بكيتُ دمًا حتّى بقيتُ بلا دمِ بكاءَ فتى فردٍ على شجنٍ فردِ
أأبكي الذي فارقتُ بالدّمعِ وحدَهُ لقد جلَّ قَدْرُ الدّمع فيه إذن عندي

وقوله:

رقدتَ فلم ترثِ للساهرِ وليلُ المحب بلا آخر

يمتاز شعر خالد الكاتب عامة برقة متناهية، ذلك لأنّه من شعراء الغزل، بما فيه الشّعر الذي روي عنه بعد وسوسته، ولم تكن سيرته الأولى كسير الشّعراء الموسوِسين الذين ذكرناهم آنفًا، إذ لم يُعرف عنه هزؤ أو تطاول كما هو الشأن عند الموسوسين عامة، لأنّه كان ذا شخصية متزنة وعقل راجح، من أجل ذلك كان كاتبًا في الجيش، ولكنه بعد أن كبر وشاخ ألمت به الوسوسة فعده الأدباء لهذا السبب من الشّعراء الموسوسين.

٥ـ أبو حية النميري:

أورد الأصفهاني لأبي حية ترجمة واسعة في الأغاني، فقال: هو الهيثم بن الربيع بن زرارة، ثم أثنى عليه ثناءً جميلاً، فذكر أنّه شاعر مجيد مُقدَّم فصيح في رجزه وقصيده، وهو ممن سكن البصرة، ومن شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، ثم ذكر من مثالبه أنّه كان أهوجَ جبانًا بخيلاً كذابًا، لا بل كان عنده من أكذب الناس[٢٣].

(٢٣) الأصفهاني (الأغاني):٣/ ٥١.

وذكر ابن جني أنّه كني بأبي حية نسبة إلى واحدة الحيات، أو إلى حيَّة تأنيث حيّ، من قولهم رجل حي وامرأة حية [٢٤].

وكان أبو عمرو بن العلاء يقدمه على الراعي النميري، وقيل إنّه كان يُصرع [٢٥]، فقال الجاحظ: كان أبو حية أجنّ من جعيفران وأشعر [٢٦]، وقال ابن عبد ربه:كان أبو حية أجن الناس وأشعر [٢٧].

ومن طرائفه أنّ له سيفًا كما يذكر الأصفهاني، كان يسميه لعاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق، وقيل إنّ كلبًا دخل داره فظنه لصًا فأنشأ يخاطبه: «أيّها المغتر بنا والمجترئ علينا، بئس والله ما اخترت لنفسك: خيرٌ قليل وسيف صقيل، لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تُخاف نَبْوته ... فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب فقال: الحمد لله الذي مسخك كلبًا وكفاني حربًا» [٢٨]، وحدث أبو حية عن نفسه قال: «عنَّ لي ظبي يومًا فرميته بسهم، فراغ عن سهمي، فعارضه السهم ثم راغ، فعارضه السهم، فما زال والله يروغ ويعارضه حتّى صرعه ببعض الجبَّانات» [٢٩]، ثم حدّث: «رميت والله ظبية، فلما نفذ سهمي عن القوس ذكرت بالظبية حبيبة لي، فعدوت خلف السهم حتّى قبضت على قذذه قبل أن يدركها» [٣٠].

(٢٤) ابن جني (المبهج): ١٠٩.
(٢٥) الأصفهاني (الأغاني): ٣/ ٥٤.
(٢٦) الجاحظ (الحيوان): ٣/ ٣٤٢.
(٢٧) ابن عبد ربه (العقد الفريد): ٤/ ٤٩٩.
(٢٨) الأصفهاني (الأغاني): ٣/ ٥٦
(٢٩) المصدر السابق.
(٣٠) المصدر السابق.

ومن نوادره أنّه ذُكر عنده فرعونُ ذو الأوتاد فقال: الكلب خيرٌ منه وأحزم، فقيل له كيف خصصت الكلب بذلك؟ فقال: لأنّ الشاعر يقول:

ومالي لا أغزو وللدّهر كرَّةٌ وقد نبحتْ نحوَ السّماءِ كِلابُها [٣١]

ومن عيون شعر أبي حية قوله في الغزل:

إذا هُنَّ ساقطنَ الأحاديثَ للفتى سقوطَ حصى المرجانِ في سِلْكِ نَاظِمِ

رمينَ فأنفذنَ القُلوبَ فلا ترى دَمًا مَائِرًا إلا جَرَى في الحَيَازِمِ

وخبَّرْكِ الواشونَ أَنْ لا أُحبُّكُمْ بَلَى وستور البيت ذاتِ المحارم

أصدُّ وما الصَّدُّ الذي تحسبينَهُ عزاءً بنا إلا ابتلاع العلاقم

حياءً وَبُقيا أنْ تشيعَ نميمةٌ بنا وبكم أُفٍ لأهلِ النّمائم

وقوله:

حوراءُ تسحبُ من قيامٍ فَرْعَهَا فتغيبُ فيه وهو جَثْلٌ أسْحَمُ

فكأنَّها فيهِ نهارٌ مشرقٌ وكأنَّهُ ليلٌ عليها مُظْلِمُ

وذُكر أنّ أحسن ما قيل في الترديد [٣٢] قول أبي حية:

ألا حي من أجل الحبيب المغانيا لبسنَ البِلى مما لبسنَ الليالیا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلة تقاضاه شيء لا يَمَلُّ التقاضيا

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ أبا حية جمع مع عاهته الإحسان في النّظم، والبراعة في القصيد، فنال بذلك ثناء النقاد، ذلك الإحسان برز في موضوع

(٣١) إذا نبحت الكلابُ السماءَ دلَّ ذلك على الخصب، وهذا مما كانت تعتقد به العرب قديمًا.

(٣٢) الترديد لون من ألوان البديع، يسمى التصدير، ومعناه رد عجز البيت على صدره.

الغزل، يشركه في هذه الصفة كثير من شعراء الوسوسة كخالد الكاتب على نحو خاص.

٦. أبو الغصن الموسوس:

شاعر كُفَّ بصره بعدما أسن، واسمه سوسنة، ذكره الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات)، ولم يرو من أخباره سوى ما نقله عن أبي هفّان عبدالله بن أحمد بن حرب الأديب الراوية المشهور المتوفى سنة ٢٧٥هجرية، وكان سوسنة على حدّ تعبير الصفدي من عقلاء المجانين[٣٣].

قال أبو هفان: «مررت بسوسنة الموسوس بِسُرَّ مَن رأى، قبل أن يُكَفَّ بصرُه، فقلت له: يا أبا الغصن أجز لي هذا البيت:

ما ترى في فتى أحب ولا يمـ ـلكُ في وقت حبه نصف فلس

فقال سوسنة:

ما أرى غيرَ عذلهِ في سكونٍ وطمأنينةٍ في حس مَسِّ

فإنِ انقادَ للملامةِ والعذ لِ وإلا فَحَقُّهُ لفُّ قَلْسِ[٣٤]

وقيل له بعد أن كُفَّ بصرُه أجزْ هذا البيت:

يا أحسن الناس وجهًا وأعذب الناس لفظا

فقال:

حمى العمى حظّ عيني فاجعل لقلبي حظّا

فقد جعلتُ بَنَاني عينًا وقرصىَ لحظا

(٣٣) الصفدي (الوافي بالوفيات): ٦/ ٣٨٨.

(٣٤) القَلس: الحبل الغليظ.

فـــأدْنِ خـــدَّك منّـــي ولا تكـــــــنْ بيَ فظّـــــــا

وواضح أن ما ذكره أبو هفان من صفاء قريحته وسرعة بديهته يدل على إجادته فنّ الإجازة وهي صفة تكاد تكون متوفرة عند أغلب الموسوسين، وعلى كل حال فإنّ الراجح أن أبا الغصن هذا كان من شعراء القرن الثالث الهجري، لأنه عاصر كما تقدم أبا هفان الشاعر المعروف.

٧ـ برذعة الموسوس:

روت كتب الأدب كثيرًا من نوادر برذعة الموسوس، ولم تنطو على شيء من سيرة حياته، وكل ما نعلمه عن أحواله أنه كان يتردد على الخليفة المقتدر، كما أنّ له حكايةً طريفة مع ابن الرومي، وحكايات أخرى مع أعلام القرن الثالث الهجري الذي عاش فيه، ومن تلك الأحاديث الطريفة ما ذكره محمد بن أبي الأزهر:« كنت في مجلس بندار وعنده جماعة من أصحابه، إذ هجم علينا برذعة الموسوس ومعه مخلاة فيها دفاتر وجُزازات، وقد تبعه الصبيان، فقال: اطردوهم عني، فوثبتُ أنا من بين أهل المجلس، وصحت عليهم، فجلس ساعة ثم وثب، فنظر هل يرى منهم أحدًا، فلمّا لم يرهم رجع إلى المجلس، ثم قال: اكتبوا، حدثني محمد بن عسكر عن عبد الرزاق عن معمر، قال: سئل الشعبي: ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: هذا عرس لم أشهد إملاكه، ثم أقبل على بندار فقال: يا شيخ ما معنى قول الشاعر:

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقـــد رابنـــي منهـــا الغـــداة ســـفورها

فقال لنا بندار: أجيبوه، فقال: يا مجنون أسالك ويجيب غيرك، علم أنّها قد حذرته من بحضرتها ليحجم عن كلامها، فضحك ومسح على رأس بندار وقال:

أحسنت ياكيس، وكان بندار قد قارب التسعين سنة» [٣٥].

وحدث أحمد بن الطيب قال: «دخلت يومًا على أمير المؤمنين المعتضد، فإذا بين يديه برذعة الموسوس، فقال لي: يا أحمد ادنُ مني حتّى دنوت منه موضع السر، فقال لي: قل لبرذعة: يا أبا عبدالله خبز، وكان إذا قيل له هذا خرج الأمر عن يده فلم يقرب من أحد إلا أثر فيه، فكان المعتضد بفرط شهوته للصنعة، قد اتخذ له ولنظرائه ولجماعة من الندماء، بين يديه بابًا مستطيلاً ينطبق على وهدة، إذا وطئ عليها خرج من بعض أقسامها كفان بلولب فاعتورا الإنسان الواقف، وأطبقا عليه قيدًا مقسومًا بهلالين، في طرف أحدهما عمود مقفل، وفي الآخر فراشة، فإذا التقتا فكأن يدًا أقفلت قفلاً فلا يتهيأ للرجل مجنونًا أو صحيحًا التخلص منه إلا بعد أن يجيء الخادم بمفتاحه فيفتحه . فقال أحمد بن الطيب: يا أبا عبد الله خبز، فوثب ليقرب مني فأخذه القيد فبقي يزبد ولا يتهيأ له في حيلة ...فصاح صياح الشاة، ووصل ذلك فلم يتمالك المعتضد ضاحكًا، وكان بعيدًا عن الهزل، فلما بصر به برذعة وهو يضحك قال:

يــا بــن الموفــق لا تضــاحك	واحـــــذر وإلا صرت شــــاة
هـــذا خبيـــثٌ مخبـــثٌ	مـــن شرّ خبـــاث السُّـــعاة
فاحـــذره واكتـــب مـــا أقـــو	ل بظهـــــر تـــذكرة الـــدواة
لا تأنســـنَّ بـــه فإنـــ	ـــي قـــد نصـــحت وهـــا وهـــاة

قال: فوالله لقد رأيت المعتضد قد تغير وجهه وانحط رأسه...» [٣٦].

(٣٥) الصفدي (الوافي بالوفيات): ٧/ ٣٤٩.

(٣٦) ابن العديم (بغية الطلب في تاريخ حلب): ١/ ٥١١.

ومن أخباره مع ابن الرومي وقد بلغه تطيُّره أنه قال له:

ولّما رأيتُ الدّهرَ يُؤذنُ صِرْفَهُ بتفريقِ ما بيني وبينَ الحبائبِ
رجعتُ إلى نفسي- فوطنتُّها على ركوب جميل الصبر عند النوائب
وَمَنْ صَحِبَ الدُّنيا على جَوْرِ حُكْمِها فأيامُهُ محفوفةٌ بالمصائب
فخذْ خِلْسةً من كُلِّ يومٍ تعيشُهُ وكُنْ حَذِرًا من كامناتِ العواقب
ودعْ عَنْكَ ذِكْرَالفألِ والزّجرواطَّرِحْ تَطَيُّرَ جَارٍ أو تَفَاؤُلَ صاحبِ

ويزعم الحصري أن ابن الرومي حين سمع الأبيات « بقي باهتًا ينظر إليه... ثم قال: والله لا تطيرت بعد هذا»[٣٧].

٨- طرّة الموسوس:

ليس لطرة الموسوس ذكر في المصادر غير حكاية في غاية الطرافة ذكرها ابن العديم في كتابه (بغية الطلب في تاريخ حلب)، ويُظن أنه عاش في القرن الثالث الهجري بسبب اتصال حكايته تلك بالحسن بن صفوان الأنطاكي الذي قال كما أورد ابن العديم: «كنتُ في دعوة، ومعي طرة الموسوس، فأسمعَنا من شعره، وطرائف فوائده ولعبه بيديه ورجليه وازددنا سرورًا، ولّما أكلنا وحصلنا على الشراب، أقبل عليه من كان جالسًا فأخذ يولع به، ويصيح السلاح السلاح، قال: هذا أول الجنون والحرب، ويرميه بشيء من الفاكهة، فقال له طرة: يا فتى أنت مجنون، فأخذ يقرأ عليه، ويعوذه، وهو يزيد عليه في الولع، ثم رماه بأترجة فوقعت في فؤاده، فكاد أن يهلك، فظفر عليه ونطحه نطحة كسر فيها أنفه، فخشيت منه، فظفر عليه ثانية ونطحه نطحة كاد أن يُذهب باقي أنفه فيها، وهمَّ أن يخنقه، فقمنا

(٣٧) الحصري القيرواني (زهر الآداب): ٢/ ٣٠٠.

إليه، ولم نزل نسأله إلى أن خلَّاه، وشاغلناه عنه، إلى أن شددنا ما كسر منه، وطرحنا عليه شيئًا من الثياب، وَهَمَّ طرة بالخروج فقلنا له: اجلس نعمل الآن ما جرى، فقال: لا أفعل، فقلت: فإنّه قد نفذ يستعدي عليك، فالله الله أن تخرج فتُحبس وتقيد وتشد، فأخذه ما كان يأخذه، ثم قام وقال لي: يقال هذا، والله لو خاطبني الوالي لسمع مني الجواب، فقلت: ماذا يكون جوابك وقد فعلت ما فعلت؟ فقال يكون ما تسمع، ثم أخذ في إنشاد هذه الأبيات [٣٨]:

وَمُعربــدٍ نادمتُــهُ في مَجْلــسٍ رأتِ العشــيرةُ عفَّتــي في المجلــسِ
صـاحَ السّـلاح فقلـتُ شرًا واقعًـا وذكــرتُ بيتًــا للفتــى المــتلمِّسِ
الشرُّــ لا يطفئْــهُ إلا مثلُــهُ فـاطفِ الشرـورَ بكـلّ عَضْـبٍ أملـسِ
فنطحتُــهُ لمّــا تغطْــرَسَ نطحــةً فــإذا أخونــا في مثيــلِ الأفطــسِ
فتعلقــوا بي كــي أُتِــمَّ مــدامتي فــأجبتهم منــي بقلــبٍ مــؤنسِ
لــو أنّ جــبريلاً أتــاني قاصــدًا برســالةٍ مــن ربِّــه لم أجلــسِ
قالوا فتحبس قلت ذاك هو المنى الحــبسُ خــيرٌ مــن ذَهــابِ الأنفــسِ

وواضح هنا أن الشاهد الشعري مرتبط بالحكاية، أو أنه نظم لها، وفي ذلك مؤشر مهم فحواه أن الحكايات التي رويت عن معظم أصحاب الوسوسة تناسلت شواهد شعرية ممتعة .

٩ـ شحطون الموسوس:

هو واحد ممن ذكرهم صلاح الدين الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات)، في

(٣٨) ابن العديم (بغية الطلب): ٢/ ٣٧٧.

حكاية جرت بينه وبين أبي يحيى المهندس، والواقع أن تلك الحكاية من النوادر لما فيها من مشاعر إنسانية رقراقة، ونوازع حكمية ووعظية مؤثرة، يقول أبو يحيى المهندس: مررت بالمخرم يوماً فرأيت شحطون جالسًا في الطريق، ومعه ابن له، فدنوت منهما، ودفعت إلى الغلام من سكَّر كان معي فأخذه، فقلت له ما اسمك؟ فقال سعيد، فقلت: أنت يا سعيد كَيِّسٌ عاقل، فأقبل شحطون فقال:

يـــا شـــيخُ قـــلْ لي هـــذا مـــن المهـــيمنِ عـــدلُ
بـــأنْ يكـــونَ لهـــذا عقـــل ومـــالي عقـــلُ

قلت سبحان الله من يقول هذا ؟ قال: يقوله من يراني على مثل هذه الحال مطروحًا في الطريق؛ والله يا أخي إنه ليأتي علي وقت لا أدري فيه ما حالي، وما رحمتي لنفسي، وإنما أرحم هذا الذي ليست له أم، وأبوه على مثل هذه الحال، وقلت: فادفعه إلي حتى يكون مع صبياني في مثل أحوالهم من التفقد والتعهد، فبكى ثم قال:

أأجعل روحي والذي هو مؤنسي- يتـــيمًا ولم يقـــدرْ إلى المـــوت قـــادرُ
لعـــلّ ليالينـــا تـــروِّحُ كربتـــي فتـــدفع عنـــي كـــلّ مـــا أنـــا حـــاذرُ
فـلا اليـأس يسـتولي عـلي ولا أُرى جزوعًـــا ولكنّـــي صـــبورٌ وشـــاكرُ

قال فأبكاني، فلما رأى بكائي قال [٣٩]:

أَتُـــرى رَحمـــةً بَكيـــتَ لمـــن عنـــ ـــــدك أم رحمـــــةً بكيـــــتَ لِمَـــــا بي
لا تُبَـكِّ الجُفُـونَ مِنـكَ لهـذا بَكِّهـــا للوقـــوف يـــومَ الحِسَـــابِ

(٣٩) الصفدي (الوافي بالوفيات): ٥/ ٢٠٩.

كـلُّ نفسٍ تفنـى ويبقـى الـذي يُفْـ ـــني ويُجـــزي برحمـــةٍ أو عـــذابِ

لا يُعرف العصر الذي عاش فيه شحطون على وجه من الدقة، وأظنه من المتأخرين، لأنه لم يقع لي أن أحدًا قبل صلاح الدين الصفدي ذكره.

١٠ـ الفيرزان الموسوس:

هو من الشعراء الموسوسين الذين ذكرهم الصفدي في (الوافي بالوفيات) أيضًا، فقد ذكر على لسان محمد بن أبي الأزهر:« كان في جوارنا بباب الشام فتى يعرف بالفيرزان، وكان يورِّق في دكان علان الشعوبي، فقدَ عقله بعد أن كان مألفًا لأهل الأدب وظرفاء الشعراء، ثم آلت حاله إلى أن كان يسلك الأسواق والطرقات عُريان مسلوبًا، وربما ثاب إليه عقله فيتوارى، ومن شعره:

مضـى أمْسُـكَ والأيـا مُ يتلـو بعضُـها بعضـا

فـما كـانَ فقـد فـات بـما أسـخطَ أو أرضى

متـى لم يـأتِ لم تـدرِ أتقضيـ قبـل أن يُقضى

فبـادرْ قبـل أن تجـ ـعلَ في الأرض لهـا أرضـا

وقال:

حياتُـكَ إن فكَّـرتَ تغريـدُ طـائر تمكـن منـه السـمع ثمـة طـارا

وعمـرُكَ مـا عمَّـرتَ أحـلامُ نـائمٍ تنبَّـه عـن ليـلٍ رآه نهـارا

فخـلِّ عـن الـدنيا وكـنْ مُتَبَـدِّلاً بـدارِ فنـاءٍ للمقامـةِ دارا

وقال[٤٠]:

(٤٠) المصدر السابق.

لــو قيــلَ للإنســان حصّــلْ لنــا ... مــا نلتَــهُ مــن لــذّةِ الأمــسِ

أكــانَ يأتينــا بشيــءٍ ســوى ... أضــغاثِ أحــلامِ هــوى الــنّفسِ

فَشُــدَّ عــلى الــدنيا وأقــبحْ بمــن ... يطلبهــا بــالتعس والــنكس

يطلبُهــا حتّــى إذا نالهــا ... بزعمِــهِ غُيّــبَ في الــرّمسِ

وواضح أن اقتران ذكر الفيرزان الموسوس بعلان الشعوبي يدل على أنه من شعراء القرن الثالث، ذلك لأن علان الشعوبي الفارسي كان ورّاقًا في بيت الحكمة أيام البرامكة في عهد الرشيد والمأمون.

١١ـ أبو دانق الموسوس:

هو من الشّعراء الموسوسين الذين روى طرائفهم الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات)، وقد ذكر حكايته الطريفة مع يعقوب بن الدقاق إذ قال: كنا يوم جمعة بقبة الشعراء في رحبة مسجد المنصور نتناشد، وكنت أعلاهم صوتًا إذ صاح بي صائح من ورائي: يا منتوف، فتغافلت كأني لم أسمع، قال: يا أعمى يا أعمى لمَ لا تتكلم ؟ فقلت من هذا؟ فقال: أبو دانق الموسوس، فالتفت إلي وقال: ويلك هل تعرف أحسن من هذا البيت أو أشعر من قائله:

مــا تنظــرُ العــين منــه ناحيــةً ... إلا أقامــت منــه عــلى حَسَــنِ

فقلت كالمحاجز له: لا، فقال: لا أمَّ لك، هلا قلت قوله:

يزيــدك وجهــه حســنًا ... إذا مــا زدتــه نظــرا [٤١]

ثم وثب وثبة فجلس إلى جانبي، وأقبل علي وقال: يا أعمى صف لي صورتك الساعة على البديهة وإلا أخرجتك من بزَّتك، ثم أقبل على من كان

---

(٤١) البيتان لأبي نواس.

حاضرًا فقال: ظلمناه ظلمناه، هو ضرير، لم ير وجهه، فمن أحسنَ منا أن يصفه فليصفه ؟ وكان على الحقيقة من أقبح الناس وجهًا، وكان يَحلق شعر رأسه وشعر لحيته وشعر حاجبيه ويدهن، قال: فلم يتكلم أحد فقال اكتبوا صفته وأنشد[٤٢]:

أشبِّهُ رأسَهُ لولا وِجارٌ لعينيه ونضنضةُ اللِّسان
بأضخم قرعةٍ عظمتْ وتمت فليسَ لها لدى التمييز ثانِ
إذا عليت أسافلها أنالتْ دعائمُ رأسها نحو اللبان
فكان لنا مكانُ الجِيْدِ منها إذا اتصلت بممسكة الجِران
لها في كلِّ شارقةٍ وبيصٌ كأن بريقَها لمعُ الدّهان
فلا سُلِّمْتَ من حذري وخوفي متى سلمتْ صفاتك من بناني

ذكر الصفدي أن يعقوب بن الدقاق كان من أصحاب الأصمعي، وهذا يعني أن شاعرنا أبا دانق من رجال القرن الثالث الهجري .

١٢. مصعب الموسوس:

روى ابن المعتز في طبقاته عن جعفر بن عبد الله الخريمي أنه قال: مر مصعب الموسوس بدرب الثلج ببغداد، فنظر إلى عين شاة من شباك روشن لبعض التجار فظن أنها عين جارية فعشقها، وتردد إلى ذا المكان شهرًا، ثم لزمه، فكان لا يبرح منه، وكان إذا وجد خلوة من الناس كلمها وشكا إليها وبكى، وهو لا يشك أنها تسمع، وربما رمى إليها بالتفاحة المنقشة المطيبة والأترجة المفلقة والشمامة والتحفة الحسنة من المناديل، وما أشبهها، فانكسرت الشبكة يومًا، فنظر فإذا عين شاة، وفطن الصبيان، فجعلوا يقولون يا عاشق الشاة، فغضب وتفاقم الأمر عليه

(٤٢) الصفدي (الوافي بالوفيات): ٧/ ٣٩٨. الوجار: بيت الضبع.

في ذلك فكان سبب وسوسته [٤٣].

وذكر ابن المعتز أن لمصعب أقوالاً منها قوله: «العلوم عشرة: ثلاثة كسروية وثلاثة يونانية، وثلاثة عربية، وواحد يخص الجميع، أما الكسروية فالعود والشطرنج والصولجان، وأما اليونانية فالهندسة والطب والنجوم، وأما العربية فالنحو والفقه والشعر، وأما العلم الذي يخص الجميع فأخبار المحدثين وأيامهم»[٤٤].

وما يستجاد من شعره قوله:

وذي نَخْـوَةٍ قـد بَـراني هَـوا ... هُ يَـزدادُ في الحُـبِّ إنْ هنـتُ عِـزّا

فـما زلـتُ بـالمكر حتـى اطمـأن ... وقـد كـان مـن قبـلِ ذاكَ اشـمأزَّ

وأقبلـتُ بالكـأس أغتالـه ... وكنـتُ لأمثالِـهِ مُسـتفزّا

وواضح أن مصعب الموسوس من قدماء الموسوسين، لأن ابن المعتز من السابقين إلى ذكره، وهو بلاشك قد عاش في القرن الثالث أو قبل ذلك.

١٣ـ جساس الموسوس:

ذكره النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين، وساق خبرًا عن الأصمعي عن عمه أنه قال: «دخلت بعض أحياء العرب فرأيت شيخًا موسوسًا يهذي، وقد اجتمع عليه الناس، فقلت من هذا؟ فقالوا: جساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره، وربما ينتبه فزعًا مرعوبًا فيجلس ساعة ثم يصيح ويهيم على وجهه، ثم يعود إلى نومه، فبت ليلة هناك، وهو على هذه الحال الذي وصفوه، فلما أصبحنا

(٤٣) ابن المعتز (طبقات الشعراء): ٢٧٧.

(٤٤) المصدر السابق.

أتيت إليه فقلت: ما اسمك ؟ وأنت أنوم من فهد، مالك تنام دهرك ؟ فقال: النوم لا تبعة علي فيه، وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات. قلت: وأي تبعة عليك في مجالستي ؟ قال: أشتغل بك عمن أنشأني، ثم أنشأ يقول:

لقد أُغنيتُ عن هذا السؤال وعما أنت فيه من المقال

فإن كنت الغداة تريد قولاً فما فيه رضى مولى الموالي

ثم عدا هائمًا على وجهه في تلك الرمال قائلاً: ما أكثر فضول أهل الحضر[٤٥].

وبهذا يكون ظهور جساس الموسوس سابقًا للأصمعي، أو ربما كان قريب العهد من زمنه بدليل إسناد الرواية إلى عمه.

١٤ـ أبو الفضل الموسوس:

قال ابن منظور: كان أبو الفضل من أهل النعم، وذوي الفضل، ثم أورد ما حكاه أبو الفرج الببغاء: «كنت طوال مقامي بدمشق آنس بمن يطرقني من ذوي الأقدار، ففي بعض الأيام، تذاكرنا أخبار عقلاء المجانين، وفي الجماعة فتى من أولاد الكتاب، فقال لي: معنا في البلد فتى في مشاهدة حاله ما يلهيني عما نحن فيه، وهو في البيمارستان، فقلت له: ما خبره؟ فقال: كان صبيًا نشأ مع جارية كانت لأخته، كاملة الحسن والأدب، فألفها وألفته، فلما كبرا حجبتها عنه فمضيا جميعًا، فلما انكشف أمرهما، وهبتها له أخته، فاستأنفا عمرًا جديدًا، واقتصر كل منهما على صاحبه ... ولا يزالان على ذلك، فلما كان في بعض الليالي خَلِيًّا على عادتهما للأنس، فعرض للجارية خلط فَتَلِفَتْ، فهجم على قلب الفتى ما سلب عقله، فَمَنَع من دفنها ظنًّا بحدوث غشي إلى أن ظهرت أمارات الموت فأُكره على دفنها

(٤٥) النيسابوري (عقلاء المجانين): ٣٢١.

... فنقل إلى البيمارستان ليبتعد عن قبرها، ومن مشاهدة تلك الأمكنة التي كان يجتمع بها فيها، ولم يقدر على ذلك إلا بعد تقييده، ومن شعره في ذلك قوله[٤٦]:

مَنْ مُنْصِفي من جَوْرِ أزماني ... إذ وضح الحقُّ ببرهاني

كنتُ جليلَ القدْرِ في أسرتي ... معظّمًا ما بين إخواني

أُصلِحُ بالتحصيل والعقل ما ... يُفْسِدُ الإهمالُ من شاني

فصرتُ مجنونًا لأنّ الرّدى ... أفنى مسراتي بأحزاني

أوحشَ من نُورِ عيوني التي ... أَغْرَت بفيض الدَّمع أجفاني

ومعروف أنّ أبا الفرج الببغاء من شعراء القرن الرابع توفي سنة٣٩٤هـ، ويبدو أن أبا الفضل الموسوس من معاصريه.

١٥ـ أبو حيان الموسوس:

قال ابن المعتز: حدثني طاهر بن محمد الأهوازي قال:« رأيت أبا حيان الموسوس، وقد قدم من البصرة إلى بغداد، ولم يكن له همة دون أن أشتري له جرة مدارية كبيرة، ثم جاء إلى دجلة فملأها، ثم صار إلى الصرة، فصب الجرة فيها، ثم حمل أيضًا من الصرة ماء فصبه في دجلة، ثم لزم ذلك طول مقامه ببغداد إلى أن مات ... وكان إذا جن عليه الليل وضع الجرة وجلس يبكي عليها ويقول: اللهم فرّج عني وخفف علي هذا العمل الذي أنا فيه وينشد[٤٧]:

لا تبكِ هندًا ولا المواعيسا ... ولا لربعٍ عَهِدتَ مأنوسا

(٤٦) ابن منظور (مختصر تاريخ دمشق): ١/ ٣٢٧.

(٤٧) ابن المعتز (طبقات الشعراء): ٤١١.

وقــفْ بقطربــل ونُزهتهــا واحــبسْ بهــا عــن ســيرك العيسـا
وانــزل لشــيخ بالــدير مســكنُهُ يــدعوه أهــلُ الكتــاب قسيسـا
لم يقــنِ وفْــرًا لــه فيملكــه إلا صــليبًا لــه وناقوســا
أتيتُــهُ فاشــمأزَّ لي ذُعــرًا فقلــتُ موســى فقــال بــل عيســى
فصــبَّ في الكــأس صــوبَ صــافيةٍ لم يفــترسْ عــودُ كرمِهــا السُّوسَــا

أبو حيان الموسوس من الشعراء الذين سبق ابن المعتز إلى ذكرهم، وهذا يعني أنه متقدم، ولا يبعد أن يكون من شعراء القرن الثالث الهجري

١٦. خلاصة البحث:

إن أبرز ما ينبغي تدوينه من سمات شعر الموسوسين ارتباط ذلك الشعر بالحكايات الظريفة، حتّى لكأن تلك الأشعار نظمت لتأكيد الحكايات، أو أن الحكايات نسجت لتأييد الأشعار، وفي الحالين تربح تلك الأشعار مزية تمكنها من الاستقرار في الذاكرة الأدبية، وتنبع طرافة من ذلك التآخي بين الأشعار والحكايات في تراث الموسوسين من خلال وحدة الهدف وإبراز المعنى الشعري الذي تشف عنه الحكايات والأشعار في وقت واحد، بيد أن هنالك مفارقة تنجم عن ارتباط الحكايات بالشعر عند الموسوسين مفادها أن أولئك كانوا يخلطون في أقوالهم وتصرفاتهم، ولا يخلطون في أشعارهم، وهذا ما دفع أديبًا كابن المعتز إلى الظن بأن الموسوسين قد نظموا أشعارهم قبل أن يلم بهم داء الوسوسة [(٤٨)]، وهذا مجرد ظن، لأن سِيَرَ الموسوسين لا تعضده لاقتران الحكايات بالشواهد حتى لكأنها بالفعل مسببة لها أو ناجمة عنها، وأمر آخر أن منبع الطرافة في الحكايات

(٤٨) المصدر السابق.

يتمثل بتخليط الأقوال والأفعال، وهنا مكمن الطرافة ومصدر الإضحاك، ثم تحدث المفارقة مع مجيء الشاهد الشعري وهو في غاية الانضباط والروعة، وهنا تتمثل قيمة الحكايات التي رويت عن الموسوسين، وقد احتفت بسيرهم كتب الأدب كل هذا الاحتفاء لا لطرافتها فحسب، بل لانطوائها على المفارقة الأدبية التي تريد أن تشير إلى موطن الحكمة في حياة هؤلاء الناس الذين كانوا خليين من التعقل، وليسوا خليين من الحكمة، وليس ببعيد أن تكون تسميتهم بعقلاء المجانيين يصب في هذه الفكرة ذاتها، بمعنى أن غياب العقل عند هؤلاء كان غيابًا ظاهريًا كما يقول محيي الدين بن عربي: « إن جنونهم ما كان سببه فساد مزاج عن أمر كوني من غذاء أو غير ذلك، وإنما كان عن تَـجَلٍّ إلهي لقلوبهم، وفجأة من فجآت الحق، فجأتهم فذهبت بعقولهم، وعقولهم محبوسة عنده، منعمة بشهوده، عاكفة في حضرته، متنزهه في جماله ، فهم أصحاب عقول بلا عقول، عرفوا في الظاهر بالمجانين أو المستورين عن تدبر عقولهم، فلهذا سموا عقلاء المجانين »[٤٩].

لقد اعتقدت العرب أن الجنون لا يضر بالشعر، لا بل قد يزيد من اتقاده وتوهجه كما هو الشأن عند مجنون بني عامر، وليس ذلك فحسب بل هنالك علاقة بين الشعر والجنون، تتفتق من خلال علاقة أخرى بين الشعر والجن كنا قد أشرنا إليها في مقدمة هذا البحث، إذ تآلف الجنون والإبداع مما يثبت فكرة الإلهام، فإذا كانت تلك الفكرة صحيحة، كان الجنون بمعنى الاضطراب في السلوك شيئًا، والشعر شيئًا آخر، بمعنى أن قوة الشاعرية تصدر عن قوة أخرى غير قوة الإدراك والعقل، وهذا ما يوضح المفارقة الناجمة عن الاختلاف بين السلوك والكلام المنظم اللذين كان يصدران عن الموسوسين في وقت واحد.

(٤٩) ابن عربي (الفتوحات المكية): ٢/ ٥٢٢.

ب . من الملاحظ أن أكثر الشعراء الموسوسين الذين أتى على ذكرهم البحث، أصيبوا بداء الوسوسة بعدما أسنوا، وهذا لا يعني أن تلك العاهة قد حجبتهم عن النظم، بل على العكس تمامًا، ذلك لأن سيرهم كانت موضع اهتمام بعد وسوستهم، وليست هنالك أخبار تذكر عن أحوالهم قبل الوسوسة، إلا ما كان يوضح حال الوسوسة التي أصبحوا عليها، فصارت الوسوسة عاملاً لشهرتهم واهتمام الأدباء بهم، وليس ذلك فحسب بل إن الوسوسة أسهمت في تألق أشعارهم من الجهة التي تدل على تفرد الموضوعات التي تناولوها، وهي موضوعات تصب في تهذيب السلوك أو تفسيره، بغية نقله من الغرابة إلى الألفة.

ج. امتاز الشعراء الموسوسون بحضور الجواب، وبيان الخطاب، وصفاء القريحة، وجودة النظم، ورقة الشعر وعمق المعاني وسُموِّها بغير ابتذال ولا إسفاف في اللفظ .

د. كانت خيالات الموسوسين قد بَهَرَتِ النقاد، كخيالات أبي حية النميري مثلاً، الذي قيل عنه: هو أكذب الناس تارة، وهو أجن الناس وأشعرهم تارة أخرى.

هـ . لبعض شعراء الوسوسة أقوال تحفظ وآراء يشار إليها في كتب الأدب كالذي روي عن مصعب الموسوس .

و. اهتم نفرٌ من الموسوسين بفن الإجازة وما يستلزمه ذلك الفن من مهارات في النظم ومعرفة بصناعة الشعر، وانتباه لتتميم المعاني وتوسيع الأفكار.

ز. شُغل كثير من الموسوسين بالذم والتهكم، وهو موضوع يدخل ضمن إطار النقد الاجتماعي الذي يرمي إلى تصحيح السلوك وتهذيبه، وهذا كان من طبعهم، لأنهم لم يتزلفوا ولم يمدحوا ولم يتقربوا إلى أهل السلطان، كما أن موضوعات شعرهم تكاد تنحصر في الجانب الذاتي الذي يصف السلوك ويجسد

اللحظة التي تبرز مواطن الظَّرف والمتعة، وهو أمر ليس فيه غرض سوى التعبير عن حال الموسوس في أثناء تفاعله مع الأحداث التي تجري من حوله.

ح. العالم الشعري الذي يحيط بأشعار الموسوسين محدد ومحصور في مجال الطرافة الأدبية، وهذه المسألة تجسد أهم غايات الأدب وهي الإمتاع، من أجل ذلك نجد أن تلك الأشعار والحكايات المرتبطة بها يمكن أن تكون أساسًا للدراسات الجمالية المعاصرة، ذلك لأنها كما قلت لا تهدف إلى شيء أكثر من المتعة الفنية واللذة العقلية.

المراجع والمصادر:

١- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – تح. إبراهيم الأبياري – دار الشعب بالقاهرة – ١٩٦٩م.

٢- بغية الطلب في تاريخ حلب – ابن العديم – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٤م.

٣- البيان والتبيين – الجاحظ – تح. عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – مصر – ١٣٨٤هـ.

٤- الحيوان – الجاحظ – تح. عبد السلام هارون – القاهرة – ١٩٤٥م.

٥- طبقات الشعراء – ابن المعتز – تح. أحمد فراج – دار المعارف – مصر – ١٩٦٥م.

٦- العقد الفريد – ابن عبد ربه – طبعة بولاق – القاهرة – ١٨٧٥م.

٧- عقلاء المجانين – النيسابوري – تح. عمر الأسعد – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٧م.

٨- الفتوحات المكية – ابن عربي – تح. عثمان يحيى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٥م.

٩- المبهج – ابن جني – تح. حسن هنداوي – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٧م.

١٠- مختصر تاريخ دمشق – ابن منظور – دار الفكر – دمشق – ١٩٨٤م.

١١- الوافي بالوفيات – الصفدي – نشر جمعية المستشرقين الألمان. – د. ت.